يبرز عامل أو أكثر بصفته العامل الاكثر تأثيرا في تكوين الأمة من العوامل الاخرى ، وقد يغيب تأثير أحد العوامل في مرحلة ، ليبرز تأثيره الواضح في مرحلة أخرى .

اضافة الى ذلك فانه يبدو لي أن الكاتب غير مستوعب بشكل جيد للتعريف الذي أورده للأمة ، فالتعريف الذي أورده ورد في دراسة ستالين — المسألة القومية — وقد تعرض هذا التعريف لبعض أوجه النقد في الادبيات الماركسية لاحقا ، ولا سيما فيما يتعلق بالحياة الاقتصادية المشتركة كاحدى العوامل الاساسية في تكون الامة . وهل عدم توفر هذا العامل ينفي وجود الامة ؟ مثلا هل وجود كيانات عربية مستقلة بدون حياة اقتصادية مشتركة فيما بينها ، ينفي وجود الامة العربية ؟.

كذلك فان عدم استيعاب الكاتب للتعريف يبرز في تحويله عملية التكوين التاريخي للأمة الى عملية تآلف . فالتعريف الستاليني للأمة يقول « ان الامة جماعة ثابتة من الناس **تألفت تاريخيا** على أساس وجود لغة مشتركة وأرض مشتركة وحياة اقتصادية مشتركة وتكوين نفسي مشترك يجد تعبيره في الثقافة المشتركة » . والكاتب حول « **تألف تاريخيا** » الى « **تآلف تاريخي** » (ص ١٠٩) وناقش الموضوع على هذا الاساس لينتهي الى النتيجة ان اليهود « لم يكونوا متآلفين ، ولم يتآلفوا ، ولن يحدث ذلك أيضا في المستقبل ، اذ لا يتوفر لهم عامل واحد في سبيل التآلف » . أي أن القضية هنا ليست العملية التاريخية لتكون الامة ، وما يتولد عن هذه العملية من صياغة وتكوين خصائص معينة لهذه الامة ، بل عملية انسجام وتآلف ، فطالما يهود بولنيا يرفضون السكن مع يهود المانيا (ص ١١٤) اذن لا انسجام ، اذن لا وجود لأمة اسرائيلية ؟!

ان الكاتب لو كان مستوعبا للتعريف الذي أورده فعلا ، لاستند على هذا العامل « العملية التاريخية لتكون الامة » في تأكيد عدم وجود أمة اسرائيلية . الا أن الكاتب على العكس من ذلك أخذ يتحدث عن الانسجام والتآلف بين التجمعات الاثنية المختلفة التي يتكون منها المجتمع الاسرائيلي .

٣) تبقى ملاحظة أخيرة ، تتعلق برفض الكاتب لوجود صراع طبقي في المجتمع الاسرائيلي ، ويصر أن الصراع هو صراع اثني فقط (الملحق ١ — ص ١٥٧ — ١٦٣) ومن هذا المنطلق فانه يرفض تحليل منظمات اليسار الاسرائيلي الجديد عن الطبقات في المجتمع الاسرائيلي ، ويرفض أية خصوصية ممكنة للمجتمع الاسرائيلي بهذا الخصوص . والكاتب هنا يستخدم المنهج الماركسي أيضا بطريقة مغلوطة . فالماركسية اذ تؤكد على العام وترفض أن يحل الخاص محل العام في تحليل أية ظاهرة أو قضية ، فانها ترفض أيضا أن ينفى الخاص على حساب العام . فلينين يؤكد « حين يعمد المرء الى تحليل قضية اجتماعية ، أيا كانت ، توجب عليه النظرية الماركسية اطلاقا أن يضع تلك القضية في نطاق تاريخي معين ، كما تشترط عليه أيضا ، اذا كان الموضوع يدور حول بلد بمفرده أن يأخذ بعين الاعتبار الخصائص الملموسة لهذا البلد » .

ان أشكالا من الصراع الاثنية وطبقية ، توجد في المجتمع الاسرائيلي ، وان غلبة الصراعات الاثنية — العرقية — على الصراعات الطبقية لا تنفي وجود صراع طبقي ، بل تعني ان الصراع الطبقي يدور ضمن الوضع الخاص لتكون المجتمع الاسرائيلي وهو مجتمع مبنيء بالايديولوجية الشوفينية والعنصرية . كذلك لا يعني الاعتراف بوجود صراع طبقي في المجتمع الاسرائيلي ، انه يعني الاعتراف بوجود أمة اسرائيلية . فمجتمعات ما قبل تكون الامم شهدت صراعات طبقية ، ذلك ان الصراع الطبقي وجد منذ أن وجدت الملكية الخاصة واستغلال الانسان للانسان .

---

١ — لينين المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٥ ص ٢٣١ .

٢ — أنظر ، القاضي ، ليلى سليم ، المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ماتسبين ، مركز الابحاث الفلسطينية .

غازي الخليلي